# سعد زغلول

ومن الذى يجهل سعدا ؟ زعيم مصر ، وقائد نهضتها ، من أسلمت له الأمة قيادها ، فهيأ لها الخروج من ظلام العبودية إلى نور الحرية .

ولد — رحمه الله — فى أبيانة من مركز فوة ، بمديرية الغربية ، حوالى سنة ١٨٥٧ م . وكان أبوه إبرهيم زغلول عمدة القرية ، وله فيها منزلة سامية ، وثراء[1] واسع ، وبيته منتدى الأعيان . وقد شب فى زمن انتشر فيه الظلم ، وفسد الحكم ، واشتد بطش الحكام ، حتى إن مأمور أحد الأقسام شنق عمدة ، وصلبه ثلاثة أيام ؛ لأنه تطاول عليه فى الكلام . غير أن أسرة سعد كان لها من المكانة ما يحميها من هذا الظلم ، بل ما يجعلها مهيبة مرعية الجانب ؛ فقد حكى عن أبيه إبرهيم زغلول أن أحد المأمورين استطال عليه بالكلام ، فما كان منه إلا أن أوسعه ضربا ، ثم لم يعتذر ، ولم يلحقه منه شر . وقد شعر سعد منذ صغره بالظلم ينال الناس

---

(١) ثروة كبيرة .

من حوله ، فاشتد بغضه للظلم والظالمين .

مات والده وهو فى السادسة من عمره ، فكفله الشناوى زوج خالته ، وشملته أمه برعايتها وعطفها الرشيد ، وأبت أن تتزوج وهى فى ريعان الشباب ، ووقفت حياتها على تربية أولادها وهم ثلاثة : ستهم وسعد وفتحى . وقد كان سعد يقول : « إنه ورث الإقدام والثورة عن أبيه ، والحكمة والأناة عن أمه » .

ذهب إلى المكتب فى سن السادسة ، فتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن ، ثم توجه إلى الأزهر أكبر معاهد التعليم فى ذلك العصر ، وكان للتلميذ فيه أن يختار أساتذته ، وقد أصاب سعد ؛ إذ اختار الإمامين المصلحين : محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى . وقد أعجب به أساتذته ، وتوسموا فيه النبوغ . ومما يدل على تعشقه الحرية أنه أجاد مرة فى الكتابة عنها ، فقال الإمام جمال الدين : « مما يدل على أن الحرية ناشئة فى مصر أن يجيد فى الكتابة عنها هذا الناشئ » .

وقد ألف سعد جماعة لإصلاح الأزهر ، كان فيها داعيا للتجديد ، ثائرا على الأساليب القديمة فى التعليم . وقد اختير سنة ١٨٨٠ م للتحرير بجريدة الوقائع المصرية براتب قدره ثمانية جنيهات شهريا ؛ فكان يكتب وينتقد بما يدل على عقل كبير ،

وطبيعة مستقيمة ، ونبوغ مبكر ، ثم انتقل إلى وظيفة معاون بالداخلية براتب شهرى قدره خمسة عشر جنيها ، ثم كان ناظراً لقلم قضايا الجيزة .

وشبت الثورة الوطنية بزعامة أحمد عرابى باشا ، وكان سعد من المشتركين فيها ، وقد ناله منها أذى كثير ؛ فاعتقل وخسر وظيفته ، ولكنه ظل وفيا لأصدقائه وعقيدته ، فلم يرض أن يعتذر ويتزلف ليرجع لوظيفته كما فعل غيره ؛ بل فضل أن يشتغل بالمحاماة ، فى وقت لم يكن فيه للمحامين كرامة . وكان أصحاب المنزلة من الناس يترفعون عن معاملتهم ، والاختلاط بهم ، ولكن سعدا حين اشتغل بالمحاماة ارتفع بها بكرامته وصدقه ، وخدمته للحق ، فأصبحت مهنة كريمة ، شابهت مهنة القضاة ، بعد أن كان هؤلاء ينظرون إلى المحامين نظرة احتقار ، فلم يقبل سعد قط أن يدافع عن باطل ، ولم يرفض أبدا دفاعا عن صدق . ولم يبالغ فى طلب الأجر ، بل كان لا يزيد فى قضيته على خمسمائة جنيه ، ولا يأخذ من الفقراء أجرا . فشاع صدقه فى أنحاء البلاد ، حتى كان إذا قبل الدفاع فى قضية وثق الناس بنجاحها ، فارتفع بعلمه وخلقه إلى مجالسة العظماء . وتزوج ابنة رئيس الوزراء فى ذلك العهد مصطفى فهمى باشا وهى صاحبة العصمة صفية زغلول

أم المصريين — رحمها الله — فكانت خير معينة له . خطبها سنة ١٨٩٥ م ، واحتفل بزواجها فى فبراير سنة ١٨٩٦ ، وكان إذ ذاك فى الثامنة والثلاثين من عمره . وكان من عادته فى المحاماة أنه يحب الصلح بين المتخاصمين ، ويقيد مقدم القضية فى باب الأمانات لا فى باب الإيرادات ، ليردها إلى صاحبها فى حالة الصلح .

وقد خطب فى حفلة نقابة المحامين وهو وزير فقال :

« أفتكر أنى عند ما كنت محاميا — ولا أقول ذلك مفاخرة أو مباهاة ، بل حكاية للواقع يسمعه المحامون الذين هم أحدث منى سنا ، ليروا رأيهم فى اتباعه — ويأتى موكلى مريدا للصلح لخشية خصمه من توكيلى عنه ، أرحب به ، وأسهل الأمر عليه ، بأن أرد إليه مقدم الأتعاب التى قبضتها منه ، لماذا سكتم ؟ (ضحك وتصفيق) يجب عليكم أن تساعدوا على الصلح ، ولو برد بعض الأتعاب ، إن لم يكن كلها . وعلى أى حال أرجو ألا تكون قيمة الأتعاب مانعاً لكم من تحقيق الصلح والسلام . إنى ما كنت أقيد مقدم الأتعاب فى باب الإيرادات ، بل فى باب الأمانات ، لأقى نفسى ضعف نفسى . »

ومما يدل على طموحه وعظم همته اشتغاله ، عقب زواجه وهو يناهز الأربعين لنيل شهادة الحقوق من باريس سنة ١٨٩٧ م .

ثم عين قاضيا ، فكان عون الضعفاء والمظلومين ، يتمثل فى أحكامه البحث الدقيق ، والنزاهة المطلقة ، وغيرة المصلحين ، وذكاء النابغين . وكان مع ذلك لاينى [١] عن تشجيع كل دعوة وطنية ترفع شأن الأمة ، فكان على رأس الداعين إلى الجامعة . ومن بيته صدر منشور الدعوة . وكان الناس يتزلفون إلى ( اللورد كرومر ) عميد الإنجليز فى مصر ، و يطلبون منه قضاء الحاجات . وقد هال ( اللورد ) أن سعدا لايتزلف إليه ، ولا يطلب منه كما يفعل غيره . فقال له مرة : « وأنت أليست لك حاجة ؟ » فأجابه فى عزة وشجاعة : « شكراً ، ولكنى لم أسألك أنت قضاء الحاجات » . وقد قال كرومر عنه : « إن هذا الرجل قدير ، شجاع فى عقيدته . وإنه علمنى كيف أحترمه » .

واختير وزيرا للمعارف فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، فصادف الاختيار هوى جميع الأمة وأحزابها ، فكان أول وزير مصرى احتفظ بنفوذه فى عهد الاحتلال ، ووجه وزارته وجهة وطنية . وكان يلقى أوامره على الأجانب لتنفذ على غير ما كان مألوفا إذ ذاك ، فمن أبطأ أصابه العقاب .

وقد قال له أحد الأجانب مرة وهو يجيب طلبه : « إليك

---

(١) لا يتأخر .

يا مولاى ما طلبت، وأنا رهين إشارتك، أعلم أن فى الديوان وزيرا مطاعا»

المغفور له سعد زغلول باشا

وكان أول وزير تحدث إلى الصحف ، وزار الأقاليم ، وقدر النبوغ ، أعجبه مرة تلميذ فى المدارس الأولية ، فنقله للمدارس الابتدائية بالمجان . ومن أعظم آثاره أنه نقل التعليم إلى اللغة العربية ، بعد أن كان باللغة الإنجليزية ، وأنشأ مدرسة القضاء الشرعى .

وكان وزيرا للحقانية سنة ١٩١٠ م ، فعمل على صون كرامة القضاة ، وأنشأ نقابة المحامين ، وأنصف المظلومين والقصّر[١] . وقد تبين له ظلم قيم من القوام فى مال إحدى الأميرات فعزله ، وكان هذا القيم على اتصال بالخديو والإنجليز ، فعصل بسببه خلاف لم يخضع له سعد ، واستقال لأنه لا يستطيع أن يخالف ضميره . وإن هذا ليريك صلابته فى الحق ، وترفعه عن الخضوع لغير سلطانه ، فحرمت البلاد حكمه ، ولكنها لم تحرم جهوده ومواهبه ؛ فقد انتخب عضوا فى الجمعية التشريعية ، فكان يحاول فيها بسلاح ماض من قوة الحجة . وسلطان الحق ، حتى كانت به قوة يخافها الحكام ، شهد بذلك ( جورج لويد ) إذ يقول :

« كان زغلول فى الجمعية التشريعية ، ومن ورائه أتباعه ،

---

(١) اليتامى إلى أن يبلغوا سن الرشد .

قوة لامناص منها ، يمكن أن يشلوا عمل الوزارة إن لم يجعلوه مستحيلا ، وكان يكره فى الجدال السفاهة والمشاتمة . » ومن ذلك قوله فى الجمعية التشريعية : « لست شتاما ، بل أقر وأعترف أمامكم أنى عاجز أمام كل شتيمة . ليس لى مطلقا قوة فى هذا الميدان لأن أنازل فيه أضعف إنسان » .

وتحملت مصر أضراراً جساما فى الحرب العالمية الأولى التى أعلنت سنة ١٩١٤ م ، ثم وضعت أوزارها فى ١١ من نوفمبر سنة ١٩١٨ م ، فبادر سعد إلى مهمته الكبرى ، وكأنما هيأته نشأته ودراساته ودفاعه عن المظلومين فى المحاماة ، وإنصافه لهم فى القضاء ، هيأه كل ذلك لتأدية رسالته ، وهى دفاعه عن أمته المظلومة ، حتى قال حين تم توكيل الأمة له يذكر زوجه بما سبق من نذره أن يدافع عن الفقراء بلا أجر : « الآن يمكننا أن نوفى بما فاتنا من نذر فى الدفاع عن الفقراء ، فإننا ندافع عن أمة ، وكل غنى فيها فى طلب الاستقلال فقير . » فقد بادر عقب الهدنة يطلب المقابلة من العميد البريطانى فى مصر ، وذهب هو وزميلاه على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ( باشا الآن ) ، وتناقشوا فى مطالب مصر من الاستقلال التام ، ورفع الحماية ، فدهش العميد من هذا الطلب وهذه الجرأة ، ونصحهم بالانتظار ؛ لأنه لا يعرف

رأى حكومته فى هذا . فتوسل الوفد بذلك إلى طلب السفر إلى أوروبة للمفاوضة ، فرفضت انجلترا الطلب ، فاقتصرت جهود الوفد على الاجتماعات ، و إلقاء الخطب — وكانت هذه الاجتماعات تمنع وتفض بالقوة — وعلى إرسال الرسائل إلى مؤتمر السلام و إلى انجلترا ، وكان لا يجاب عن هذه الرسائل .

وحدث أن كان ( المستر برسيفال ) يلقى محاضرة فى القاهرة يقترح فيها تغيير التشريع فى مصر ، فانبرى له سعد بخطبة عصماء ، يرد فيها أكاذيبه ، ويعلن حق مصر فى الاستقلال التام ، فكانت صيحة جريئة تردد صداها فى جميع القطر ، وتناقلت الألسنة الخطبة ، وحفظها كثيرون ، واغتاظ الإنجليز غيظاً شديداً ؛ فدعا القائد العام الإنجليزى «وطسن» سعدا وتسعة من صحبه ، وقرأ عليهم إنذارا لهم بالعقاب الشديد إن هم داوموا على المطالبة بالاستقلال . فطلب سعد الإنذار ، ولم تمض بضع ساعات حتى كان الرد قد وصل إلى دار الحماية بالامتناع و إعلان العصيان لهذا الطلب .

واستقالت وزارة حسين رشدى باشا ، وتعذر تأليف وزارة جديدة ، وتحرجت[1] الحال ، وألقت انجلترا التبعة على سعد

---

(١) ضاقت واشتدت .

وصحبه ، فقررت نفيهم . ولم يكن ذلك ليغيب عن خاطر سعد ، فليس الاستقلال سهلا ينال بمجرد الطلب ، بل دونه أهوال وعقبات ، ولذا كان يردد قبل نفيه : « لا بدلنا من قارعة . » وقد كانت ؛ فقد حضر إلى بيت الأمة قوة بريطانية للقبض على سعد باشا ، ومحمد محمود باشا ، وحمد الباسل باشا . ونزل سعد إلى سيارة الاعتقال بهدوئه المعهود . وكان آخر كلمة قالها حينذاك : «تشجعوا» قالها بالفرنسية وكررها .

نفى سعد وصحبه إلى مالطة ، وكان أول ماعمل فيها أن كتب احتجاجا على تصرف انجلترا يبلغها فيه أن كل تعذيب للمصريين لايزيدهم إلا تمسكا بمطالبهم . وقد غضبت الأمة ، واشتعلت الثورة فيها فى مارس سنة ١٩١٩ م . فلم يقو على إطفائها جيش الاحتلال .

وفهمت انجلترا أخطاءها تجاه سعد والأمة المصرية . كل هذا وسعد وصحبه فى مالطة لا علم لهم ؛ حتى زارهم حاكمها فقال لهم : « أشعلتم النار فى مصر ، وجئتم إلى هنا » . فعلموا أن بمصر أحداثا خطرة . وبعد شهر فى منفاهم جاءهم نبأ الإفراج عنهم ، والإذن لهم بالسفر مع زملائهم إلى حيث يشاءون . فما كان أطيب

هـذا الخبر فى نفوسهم : لأنه بشرى بالحرية ، وبالنجاح فى قضيتهم الكبرى .

سافر سعد وصحبه إلى أوروبة ، وكان عمله فيها الكتابة فى الصحف ، ومراسلة الدول ، وإقامة الولائم لعرض القضية بكل الممكن من الوسائل . وقد نجحت الدعوة فى شعب فرنسا كما نجحت فى أمريكا ، فرفض مجلس شيوخها معاهدة مؤتمر السلام ، وأخذ أنصار القضية المصرية يزيدون ، فعلمت انجلترا أنه لابد من مفاوضة الوفد ، فسافر الوفد إلى لندن ، واستمرت المفاوضات من يونية إلى أغسطس ، وانتهت بالإخفاق ، ثم اضطر سعد إلى العودة لمصر مرفوع الرأس ؛ إذ أبى أن يفرط فى حقوق أمته ، أو يخضع لأعدائها ، بل أسمع صوتها العالم ، ونشر على الدنيا قضيتها العادلة . فما إن وصل إلى الإسكندرية حتى استقبل استقبالاً لم يظفر به عظيم من عظماء الجيل فى العالم كله ؛ فقد انتظمت البلاد كلها موكبا واحدا ، من القاهرة إلى الإسكندرية ، وتراصت الجموع الحاشدة أمام القطار ، حتى اضطر إلى الوقوف فى أماكن كثيرة . وازدحمت شوارع العاصمة ، واكتست الأشجار بالمتسلقين لها ، ونسى بعضهم نفسه ، فكان يصفق بيديه غافلا عما يهدده من خطر الوقوع من فوق الشجرة ، ولم يكن فى

الحقيقة من خطر ؛ إذ كانت الأرض مكسوة بالناس ، لا موضع فيها لقدم . وانتشرت أقواس النصر ، وأعلام الزينة على طول الطريق ، فكنت لا تسمع إلا اسم سعد ، ولا ترى إلا صورة سعد ، والهاتفين بحياة سعد ، وسيارته تمشى الهوينا ، تشق لنفسها طريقا وسط الزحام البالغ ، وهو واقف فيها بقامته المديدة ، ومنظره المهيب ، يحيي الناس بكلتا يديه ، وتنهمر الدموع من عينيه.

أيقنت انجلترا أن سعدا خطر كبير ، وأنه ملك عليها الأمر ، وأصبح القائد المسيطر الذي تخفق به خططها ، وتنكشف حيلها ، ويفسد تدبيرها . وقد كان كذلك ؛ فقد ظل سعد يقرعهم بخطبه التي لم تكن أقوالا ، بل روحا يملأ النفوس بالعزم والأمل ، وسياطا تلهب الظهور للعمل ، وقوة عاصفة بالظلم والظالمين .

أرسلت انجلترا إليه تهديدا فقال حين قرأه : «يهددوننا بنصب المشانق ! ليكن . نحن مستعدون» . ثم أصدر نداء إلى الأمة جاء فيه : « نفزع إلى اتحادنا فنقويه ، وإلى صفوفنا فنجمعها ، وإلى قوانا فنوجهها جميعا إلى دفع ذلك الخطر العظيم ، ننزع الشهوات الدنيئة من نفوسنا ، ونستل الأحقاد الممقوتة من صدورنا ، وتكون الكلمة السواء بيننا ألا يطيب لنا العيش حتى ينطلق الوطن السجين ، ويتمتع باستقلاله التام » . وفى آخره يقول :

فلتنق الله بقلوب كلها اطمئنان ، ونفوس ملؤها استبشار بالاستقلال التام ، أو الموت الزؤام » .

عملت انجلترا على نفيه ثانية ، وتوسلت لذلك بأن أرسلت إليه رسالة تحرّم عليه فيها التكلم بالسياسة ، وتمنعه من الانتقال من قريته ، فأجابها بخطاب جاء فيه : « وبما أني موكل من قبل الأمة للسعي في استقلالها فليس لغيرها سلطة تخليني من القيام بهذا الواجب المقدس ؛ لهذا سأبقى في مركزي مخلصا لواجبي . والقوة أن تفعل بنا ماتشاء أفرادا وجماعات » . ثم قال لكل من سألوه : « إن هذه مقدمة للنفي الآتي لامحالة » .

وسرعان ماطار الخبر ، فكثرت المظاهرات ، وأطلق الرصاص . وأقبل صباح الاعتقال في ديسمبر سنة ١٩٢١ م غائما مطيرا ينذر بالشر . وقبض على سعد . فتقدم ثابت الجنان ، هادئا ، مطمئن النظرات ، وأرادت زوجه مصاحبته ، فرفض الجند ، فتعلقت به ، ولكن سعدا قال لها : « لا تكوني سببا في إهانتي » .

فعادت إلى ثباتها قائلة : « لاعاش من يهينك ياسعد » .

وأخذت تهدئ الباكين حولها . خرج سعد إلى الجموع الحاشدة ، فسرح فيهم طرفه هادئا مطمئنا ، لا يبالي شيئا ، فضج الجميع بالبكاء صائحين : « إلى أين ؟ إلى أين ياسعد ؟ »

كان سعد عجوزا مصابا بأمراض كثيرة ، يسير إلى حيث لا يعلم ، ولا يدرى أين يلاقى حتفه[١] . ومع ذلك قبل التضحية بقلب ممتلئ ثقة وعزما . وهذا هو المثل الأعلى فى عرفان الواجب والبطولة .

اعتقل هو وصحبه فى سيشل ، ثم نقل منها إلى جبل طارق ، وكانت مدة اعتقاله من ديسمبر سنة ١٩٢١ م إلى مارس سنة ١٩٢٣ م .

وفى هذه الأثناء صدر الدستور ، وأجريت الانتخابات ، ففاز فيها الوفد بأغلبية كبيرة ، فدعى سعد من المنفى إلى الوزارة ، فكان أول رئيس لوزارة دستورية . وكان يلاقى كبار الإنجليز مقابلة الند للند . وأفرج عن المسجونين السياسيين ، وألغى نفقات الاحتلال ، وكان لا يجدد عقود الإنجليز الموظفين إذا انتهت ، ويتصرف فى شئون دولته كأن مصر مستقلة ؛ فمن ذلك رده على تصريح الحكومة الإنجليزية « بأنها لن تترك السودان بأى معنى كان » . قال فى رده فى مجلسى الشيوخ والنواب :

« إننى بالنيابة عن الشعب المصرى بأجمعه ، أصرح بأن الأمة المصرية لن تتنازل عن السودان ماحييت ، وماعاشت ... إن حقوق الأمم لا تضيع بمجرد أن يقول الغاصب إنى أريد أن

---

(١) موته .

أتمتع بها دون أصحابها... ثم أيها السادة لا يمكننا مطلقاً أن نتنازل عن السودان ؛ لا لأنه مستعمرة ، بل لأنه جزء من كياننا ، بل لأنه منبع حياتنا ، بل لأنه لا يمكن لمصر أن تعيش بدون السودان أصلا » .

وقد اعتدى على حياته فى ١٢ من يولية سنة ١٩٢٢ حين كان فى محطة العاصمة . رماه فتى غر بطلقة أصابته فى غير مقتل . وكان — رحمه الله — مصابا بأمراض يضعف معها الأمل فى الشفاء ، ولكن تجلت شجاعته المعهودة فى هذا الخطر ؛ فقد كان يقول للباكين من حوله : « لا تبكوا إذا مات سعد ؛ فمبدؤه باق لا يموت » . وهذا مثل سام من أمثلة الشجاعة والبطولة فى وجه الخطر المحقق .

وقد أجرى سعد مفاوضات أخرى مع رمزى مكدونالد فى انجلترا، ولكنها انتهت بالإخفاق أيضا. ثم كانت فاجعة (السردار)، فاستقال سعد بسببها ، بعد أن مكث فى الوزارة تسعة شهور . ثم ولى بعد ذلك رياسة مجلس النواب ، فكان الرئيس العادل ، الرحب الصدر ، النزيه فى مناقشاته ، البعيد النظر فى آرائه ، وكان يمتاز فى مواقفه بحدة ذكائه ، وسرعة خاطره ، وحلمه ، ورجاحة عقله .

وقد كان سعد خطيبا يلعب بقلوب سامعيه ، قوى التأثير بصوته الرقيق ، وطلعته المهيبة ، وبلاغته الساحرة . وكثيرا ما أبكى سامعيه من متعلمين وفلاحين .

وكان نبيلا فى خصومته ؛ فكثيراً ما مدح خصومه على كثرة ما ناله منهم من أذى ، وقد بلغه مرة أن بيت أحد خصومه ( إبرهم الهلباوى بك ) سيباع فى المزاد ، فأمر بإرسال مبلغ من ماله لينقذ . ولكن ذلك الخصم كان قد دبر أمره ، وأنقذ بيته . فلما بلغه ما عزم عليه سعد شكره كثيرا .

وكان سعد فى بيته مثال الزوج الكامل ، يأوى من بيته إلى مكان الدعة والراحة ، ليقوى على العمل والجهاد ، يكل كل شىء لزوجه . وقد قيل لها مرة : « أين زوجك ؟ ألا يسمع له صوت ؟ »

فأجابت : « إن صوته يسمع فى كل مكان إلا هذا المكان » .

وكان رحيما بالخدم والأتباع ، حتى كانوا يتجرءون عليه ، وهو الذى يهابه العظماء والأمراء . وكان سعد صلبا فى الحق ، صريحا حكيما ، داهية فى تصرفاته وتدبيراته ، مناضلا يحب العمل ، متدينا يراقب ربه ، ويؤدى فرضه ، وقد اضطلع فى شيخوخته بقضية الأمة ، بعزيمة وصبر لا يقوى عليهما الشباب ؛ لهذا تعلق

به الشعب تعلقا شديدا ، وقدره أصدقاؤه وأعداؤه ، من مصريين وأجانب .

ولما وافاه الأجل المحتوم فى ١٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧ ارتاع القطر المصرى أجمه ، وعمه الحزن ؛ كأن كل مصرى فقد أباه وعائله . ذهب ناع ليلة أن مات إلى مسرح من مسارح اللهو فى القاهرة ، فصاح الجمع : «أيها الإخوان ، البقية فى حياتكم . الباشا مات ! » فصرخت المغنية ، وألقت العود من يدها ، وولت ، ثم انفض الجمع عن حزن عميق .

ذلكم هو سعد فى سيرته الخالدة ، فاقتدوا به فى عزيمته ونزاهته ، وفى نشاطه وإخلاصه ، وفى شجاعته وعظمته ، وأحيوا ذكره بالاقتداء بفضائله ؛ ليكون سعد خالدا فيكم بصفاته الخالدة ، وأعماله المجيدة . وليكن من كل منكم سعد فى تلكم الصفات ، وهذه الأعمال .

## من كلمات الخالدة

من كلماته الخالدة قوله : «أنا لست رئيس حزب ، ولكنى وكيل أمة . قلت ذلك مرارا ، وكررته تكرارا . قلته عقب خروجى من منفاى . وقلته بعد عودتى منه . وسأقوله دائما ، وأعمل

به . فلا أحابى شخصا لمبدئه السياسى ، ولا أتعرض لآخر لآرائه السياسية . ولكنى أحسن لمن يعمل لمصلحة الوطن ، وأنكل بمن يسىء إليه . فمن عمل صالحا فلنفسه وللأمة . ومن عمل بضد ذلك فعليه إثم ماعمل . ولو أجرم ابن سعد لحقت عليه كلمة العقاب » .

## ومن خطبه التى ألقاها

يوم ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٢٣

### يدعو إلى الاتحاد

« طلب منى بعض خطبائكم أن ألقى كلمة لتكون بردا وسلاما على قلوبكم . والكلمة التى جاشت فى صدرى عقب هذه الدعوة هى أن أرجوكم ، وأرجو كل مصرى ، أن يحافظ على أمر واحد هو فخار نهضتنا الحاضرة ؛ ذلك الأمر هو الاتحاد المقدس .

لست خالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم . لاأقول ذلك ولا أدعيه ، بل لاأتصوره ، إنما نهضتكم قديمة ، تبتدئ من عهد مؤسس الأسرة المالكة محمد على . وللحركة العرابية فضل عظيم فيها ، وكذلك للسيد جمال الدين الأفغانى وأتباعه وتلاميذه أثر كبير ، وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل غزير فيها أيضا ، وكذلك المرحوم محمد فريد بك .

كل هذا حق ، ويجب علينا ألا نكتمه ، لأنه لا يكتم الحق إلا الضعيف . ثم أتت هذه النهضة على أثر تلك النهضات ، وامتازت على سابقاتها بأن أوجدت هـذا الاتحاد المقدس بين الصليب والهلال ؛ هذا الاتحاد الذى أرجو مصر جميعها الاتهاون فيه ؛ فإنه فخار هذه النهضة ، وهو عمادها . وهو الذى اضطر له خصومنا إذ أسقط من أيديهم حجة كانوا يعتمدون عليها ، كلما أردنا تحرير رقابنا من النير الذى وضعوه فى أعناقنا . يقول خصومنا إننا حماة الأقلية فيكم ؛ لأنكم قوم متعصبون ، فلا بد من أن نبقى بينكم لنحفظ العدل فيكم !! هذه الحجة سقطت باتحادكم ، ولـكنهم الآن انتهزوا فرصة الانتخاب ، ليبثوا الانقسام فيكم ، فاحذروا هذه الدسيسة ، واعلموا أنه ليس هناك أقباط ومسلمون . ليس هناك إلا مصريون فقط . ومن يسمونهم أقباطا كانوا ولا يزالون أنصاراً لهذه النهضة ، وقد ضحوا كما ضحيتم ، وعملوا كما عملتم . وبينهم أفاضل كثيرون يمكن الاعتماد عليهم . فأحسوا التراب فى وجوه أولئك الدساسين الذين يفرقون بين مصريين ومصريين ، أن لا امتياز لواحد على آخر إلا بالإخلاص والـكفاية.

فيهم إحساسنا ، وفيهم من هو أفضل من كثير منا . أقول هذا لأنى أقول الحق . ويجب على زعيمكم أن يقول الحق .

لقد برهنوا فى مواطن كثيرة على إخلاص شديد ، وكفاءة نادرة ، وأفتخر ( أنا الذى شرفتمونى بدعوتى زعيمكم ) بأنى أعتمد على كثير منهم ، فكلمتى ووصيتى فيكم أن تحافظوا على هذا الاتحاد المقدس ، وأن تعرفوا أن خصومكم يتميزون غيظا كلما وجدوا هذا الاتحاد متينا فيكم . ولولا وطنية فى الأقباط ، وإخلاص شديد ، لتقبلوا دعوة الأجنبى لحمايتهم ، وكانوا يفوزون بالجاه والمناصب ، بدل النفى والسجن والاعتقال ، ولكنهم فضلوا أن يكونوا مصريين معذبين ، محرومين المناصب والجاه والمصالح ، يسامون الخسف ، ويذوقون الموت والظلم ، على أن يكونوا محميين بأعدائهم وأعدائكم .

هذه المزية يجب علينا أن نحفظها ، وأن نبقيها دائماً فى صدورنا ، وإنى أفتخر كل الافتخار كلما رأيتكم متحدين متساندين . فحافظوا على اتحادكم . وهناك افتخار آخر لهذه النهضة ، وهو التفاف الأمة نحو شخصى الضعيف .

تعودتم طاعتى ، وأنا لم أكن أميراً فيكم . ولا أنا من بيت كبير ، بل أنا فلاح ابن فلاح ، من بيت صغير ، يقول عليه خصومنا إنه حقير . ونعمت الحقارة هذه . ولم أكن غنيا ليكون التفافكم حولى طمعا فى مال ، ولا أنا ذو جاه أوزع الجاه على من

يطمع فيه ، ولكنكم التففتم حولى ، فدللتم بذلك على أنكم لاتطلبون مالا ولاجاها ، بل السجن فى بعض الأوقات .

أنتم أمة تلتف حول رجل لامال عنده ولاجاه ، ولاجمال أيضا. حقيقة إن كل مايستهوى الناس عادة مفقود عندى . أنا مقر بذلك . وأنا أؤكد لكم ، وأقسم بالله و بصفاته أنى ماتخيلت حتى فى منامى أن شخصى الضعيف موضوع تلك الحفاوة ، ولكنى أعتقد أن فى الأمة شعورا شعبيا ، ونورا إلهيا ، هداها إلى شىء فى شخصى الضعيف ، هو أنى متمسك بمبادئها .

قالوا — وماأكثر ما قالوا — قالوا إنكم قوم تعبدون الأشخاص ( يعنى ماشفتوش إلا أنا ؟ ) لم لم تعبدوا غيرى ؟ هذا كلام فارغ لايستحق منى الرد . وهذا هو الدليل على أن نهضتكم حقيقية .

تعبت مع محبى المخلصين . وهنا اسمحوا لى أن استطرد عند أولئك الصحب .

تعبت ولكن صحبتهم أنستنى آلام النفى : لأنهم كانوا حقيقة أبناء برة ، شعرت بحبهم ، وأنسونى كل ما كان يمكن أن أحس به فى سجنى وغربتى . ولولا قصر الوقت لشرحت لكم جميل عنايتهم بى . يقينا كنت أتقوى فى عزيمتى بهم . وإنى أشكرهم على هذه التقوية . أنسونى آلاما كثيرة ، ووجدت فيهم

عوضا كبيرا . شكرتهم بسرى هناك . وهنا أشكرهم علنا أمام الأمة جميعا .

نفينا فماذا حصل ؟ . حل محلنا آخرون ، فكان لهم من الأمة نفس الاحترام الذى كان لنا ؛ لأنهم حلوا فى المكان الذى عهدت فيه الأمة الإخلاص . حلوا فيه ولم يكن أمامهم إلا السجن والنفى والإثم ، ودل ذلك على أن الأمة جميعها مستعدة . إذا غاب منها سيد قام سيد .

جاء هؤلاء الخلق ، ونابوا عنا أحسن نيابة ، وعذبوا وأهينوا ، ولكنهم صبروا حتى حكم عليهم بالإعدام ، فتقبلوه بوجوه باسمة هاتفين لمصر ، وللاستقلال التام . وعندما أخذوا قام من خلفهم ، وسار سيرهم ، فكان ما كان لهم من احترام وسجن واعتقال ، ثم خلفهم أسياد آخرون ، قاموا بعبئهم خير قيام . فتوالى قيام الأبطال سكان الأبطال ، والسجن يفتح أبوابه لكل حر ، ولكل عامل للحرية . وهذا دليل على تأصل النهضة فيكم ، وأنكم حقيقة مستعدون لأن تضحوا بكل شىء فى سبيل استقلال بلادكم ، وأن نهضتكم حقيقية ، وأنكم تمجدون الأشخاص الذين يتمسكون بمبادئكم مهما يكونوا . وكنت وأنا فى منفاى عندما أرى هذه الوثبات أقول : لقد تمت مأموريتى . واستقلت البلاد .

# من خطبته التى ألقيت فى حفلة الطلبة

يوم الجمعة ٧ من ديسمبر سنة ١٩٢٣

سادتى . إخوانى . أبنائى .

أهديكم فائق شكرى على إقامتكم هـذا الاحتفـال العظيم تكريمـا لعودتى . وكنتم أخرتموه لانحراف ألم بى . وأحمـد الله تعالى أن سجانى الجدد ، وهم ضباط صحتى ، لم يحاولوا أن يحرمونى هذه المرة من الخروج إلى هذا الاجتماع وشهوده ؛ لأنهم يعلمون أنه اجتماع الشباب ، والشباب ينشر على من حوله أشعة من الحرارة ، تكسب الجسم قوة ، وتفيد الصحة اعتدالا .

وفى الحق أنى أشعر كلما رأيتكم بدبيب من القوة يدب فى جسمى ، وبدافق من السرور يصب فى قلبى . وأتخيل كأنى عدت إلى الصبا . وعادت إلى صدرى حماسته . فأستسهل كل صعب ، وأستهين بكل خطب . وألبى كل صوت يدعو إلى التقـدم والارتقاء .

إن الشباب هو تلك الحلقـة الذهبية التى تربط المستقبل بالماضى ، وكل ما يصدر عنه محبب إلى النفس ، والنفس منجذبة إليه ؛ لأنه يصدر عن إخلاص فى نضارة ، وعن كرم فى طهارة .

إنه ربيع هذه الأمة ، وهو قوتها العاملة ، وأملها الصادق . وبه صرخت صرختها فدوت في الخافقين ، وقامت قومتها فلفتت أنظار العالمين . ومنه استمدت قوتها فثبتت للخطوب وقد ادلهمت . وصبرت على المصائب وقد ألمت . وجاهدت جهاد الأبطال في سبيل استقلالها ، مصممة ألا تعدل عن سعيها ، حتى تنال ما أملت أو يكون الموت خيرا لها . نعم صممت هذا التصميم الجازم بقوتكم ، وثبتت هذا الثبات الدائم بعونتكم . فسعيد من يراكم ويفهمكم . سعيد لأنه يرى فيكم أكبر ساوة ، وأقوى عدة أعدتها الأمة لتحقيق أمانيها .

إننا ( أعني الشيوخ ) نطل من عيونكم اللامعة على المستقبل الذي لا نشك في أنه سيكون بعناية الله مستقبلا زاهرا . ونرى فيكم خير كفيل بإتمام العمل الذي ابتدأ ، وإنجاح المساعي التي بذلت لكسب القضية الكبرى . لذلك أحيي فيكم زملاء أشداء ، وإخوانا في النهضة الوطنية ، وأنحني احتراما أمامكم ، بصفتكم أمناء شرفنا ، وحفظة استقلالنا في الأيام الآتية ، وسيكون بين أيديكم مصير مصر الحرة . نعم سيكون هذا المصير بين أيديكم ، فياله من مجد وفخار . ويالها من مسئولية هائلة !

لا تنسوا أيها الأبناء أنكم من أمة قد أعلن على التعليم

والتهذيب فيها حرب نظامية أكثر من أربعين عاما . واذكروا دائما أنكم بفضل ما امتزتم به على غيركم من العلم والتهذيب زاد عبء الواجب عليكم نحو الشعب المصرى الذى تنتسبون إليه . فاستعدوا إذا للقيام بهذا الواجب الذى ينتظركم ؛ لتؤدوه على أطيب الوجوه وأكملها . واذكروا جيدا أن لا نهوض لأمة ولا سعادة لشعب إلا بالعلم والأخلاق الفاضلة . فانشدوا الكمال العقلى والخلقى ، وتيقنوا أن القوة الغشوم إذا انتصرت على الحق زمانا فإن قوة النفس المهذبة العالمة ، والإرادة المرتكزة على الحق تنتهى على الدوام بالنصر والفوز الباهر ؛ لأنها أقوى من كل إرادة .

سر عظمة الأمم يا بنى هو ذكاء أبنائها وعلمهم ، وثباتهم على الجد والعمل ، فضعوا هذه الحقيقة أمام أعينكم . وليعمل كل منكم على أنه جندى فى جيش إنقاذ الوطن . وليقل فى نفسه إنى أعمل لهذه الغاية ، وأجد فى عملى ، وأستمر فى إخلاصى ؛ لأنه يتوقف على عملى واجتهادى واهتمامى بالشئون العامة وإخلاصى لها — سلامة البلاد وعظمتها وسعادتها . إذا فعلتم ذلك — ولا بد أنكم فاعلوه — يبدو الواجب أمامكم واضحا جليا ، وتسهل الصعاب فى طريقكم ، ويتغلب مجهودكم على ما يعترضكم من العقبات ، وتكلل مساعيكم

بالنجاح ، وتبارك لكم أمكم مصر فى أعمالكم وأعماركم ومستقبل أيامكم .

قال (رينان) لجمع من الشبان مثل جمعكم : « إن كل شىء من حولكم سيتحول ويتغير . وربما تشهدون تغييرات أعظم من التى جاء بهما التاريخ الإنسانى لغاية الآن . ولكن مما لا شك فيه هو أنكم ستلاقون فى كل أدوار الحياة التى تمرون بها خيرا لأن يعمل ، وحقيقة لأن تبحث ، ووطنا لأن يحب وأن يخدم » .

أيها الأبناء ، هذه نصائح ألقيها عليكم ، لا لأنى أشعر بأنها مجهولة لديكم ، ولكنى ألقيها لأنى شيخ ، والشيوخ يحبون عادة إسداء النصح للشبان . وقد يكون منشأ هذا الحب هو رغبتهم فى أن يثبتوا أن حياتهم الماضية لم تكن حياة ضائعة ، وأن وعاء تجاربهم قد امتلأ بالحكمة وفاض بالعبر .

لست فى حاجة إلى أن أرجع بكم إلى الوراء خمس سنوات ، أيام كان يتساقط تحت الرصاص من بينكم إخوان لكم ألقوا بأنفسهم إلى الموت ، وهو فاغر فاه . ألقوها بشجاعة نادرة ؛ ليضربوا لمن بعدهم من الأجيال أحسن الأمثال فى التضحية . لا حاجة إلى ذلك ، وما على الباحث إلا أن ينظر إلى سير الحوادث الأخيرة ، ليرى بجانب آثار الشجاعة والإقدام علامات كثيرة

من الصفات الفاضلة ( من حسن البصيرة ، وحكمة الشيوخ فى نشاط الشباب ) .

## رثاء سعد زغلول

ولنذكر هنا شيئا مما رثى به الشعراء سعد زغلول :

من قصيدة لشوقى بك فى رثاء الزعيم :

شَيَّعوا الشمسَ ومالوا بضُحاها
وانحنى الشرقُ عليها فبكاها
جَلَّلَ[1] الصبحَ سوادًا يومُها
فكأنَّ الأرضَ لم تَخْلَع دُجاها
جاءها الحقُّ[2] ومن عاداتِها
تُؤْثِرُ الحقَّ[3] سبيلًا واتِّجاها
ما دَرَتْ مِصرُ بدفنٍ صُبِّحَت
أم على البعثِ أفاقتْ من كَراها

---

(١) كساه وغطى ضوءه .  (٢) يقصد به الموت .
(٣) يقصد به العدل .

صرخت تحسبها بنتَ الشَّرى(١)
طلبت من مخلب الموت أباها
وكأن الناس لما تساووا
شعب السيل طغت في ملتقاها
خفضوا في يوم سعد هامهم
وبسعد رفعوا أمس الجباها

* * *

يا عدوّ القيد لم يلمح له
شبحا في خطّة إلا أباها
حضنت نعشك والتفت به
راية كنت من الذلّ فداها
عجبي منها ومن قائدها
كيف يحمي الأعزل الشيخ حماها
طافت الكأس بساقي أمّة
من رحيق الوطنيات سقاها
عطلت آذانها من وتر
ساحر رنّ مليًّا فشجاها

(١) بنت الشرى : أنثى الأسد .

obeikandl.com

أرغُنٌ هامَ به وجدانُها
وأذانٌ عشِقتْــه أُذْناها

❊ ❊ ❊

تسكُب الدمعَ على سعدٍ دَماً
أمّةٌ من صخرةِ الحقِّ بناها
لقّنَ الحقَّ عليــه كَوَاها
واستقَى الإيمانَ بالحقِّ فتاها
ابنُ سبعينَ تلقّى دونَهــا
غُربةَ الأسرِ ووَعثاءَ(١) نَواها
قاهرٌ ألـــقَى به في صخرةٍ
دفَعَ النسرَ إليها فأوَاهـا
كرِهت منزلها في تاجِــه
دُرّةٌ في البحــرِ والبرِّ نفاها
اسألوها واســــألوا شانئها
لِمَ لَمْ ينفِ من الدُّرِّ سواها

---

(١) الوعثاء : الطريق العسر أو المشقة .

وَلَدَ الثورةِ سعدٌ حُرَّةً
بحياةٍ ماجدٍ حُرٍّ نَماها
ما تمنَّى غيرَها نسلاً ومَنْ
يلدِ الزهراءَ يَزْهَدْ في سواها
باركَ اللهُ لها في فَرْعِها
وقضى الخيرَ لمصرٍ في جَناها

من قصيدة حافظ ابراهيم بك في رثاء سعد باشا :

إيهِ يا لَيلُ هل شَهِدتَ المُصابا
كيفَ يَنصَبُّ في النفوسِ انصِبابا ؟
وانْعَ للنَّيِّراتِ سعداً فَسَعدٌ
كانَ أمضَى في الأرضِ منها شِهابا
أينَ سعدٌ ؟ فذاكَ أولُ حَفلٍ
غابَ عن صدرِه وعافَ[1] الخِطابا
لَم يُعوِّدْ جُنودَه يومَ خَطْبٍ
أن يُنادي فلا يَرُدُّ الجوابا

(١) عافَ الشيءَ : كرهه وزهد فيه .

obeikandi.com

أيْ جنودَ الرئيسِ نادُوا جِهاراً
فإذا لَمْ يُجِبْ فشقُّوا الثِّيابا
خَرَجتْ أُمةٌ تُشيِّعُ نَعْشاً
قد حَوَى أمَّةً وبحراً عُبابا
حَمَلوه على المدافِعِ لمَّا
أعجزَ الهامَ حملُه والرِّقابا
حالَ لونُ الأصيلِ والدَّمعُ يجرِي
شَفَقاً سائلاً وصُبحاً(١) مُذابا

* * *

يا كبيرَ الفؤادِ والنفسِ والآ
مالِ أينَ اعتزمتَ عنَّا الذَّهابا ؟
كيفَ ننسَى مواقِفاً لكَ فينا
كنتَ فيها المَهيبَ لا الهيَّابا

(١) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التي كانت تجرى دما ، فكانت كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفي لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته .

كنتَ في مَيعَةِ[١] الشبابِ حُساماً

زادَ صَقْلاً فِرِنْدُه[٢] حينَ شابا

***

لَيْتَ سعداً أقامَ حتى يَرانا

كيفَ نُعلِي على الأساسِ القِبابا

قد كَشَفْنا بِهَدْيِهِ كلَّ خافٍ

وحَسِبْنا لكلِّ شيءٍ حِسابا

حُجَجُ المبطلين تمضي سِراعاً

مِثْلَما تُطلِعُ الكؤوسُ الحَبابا

حينَ قالَ (انتهيْتُ[٣]) قُلنا بَدَأْنا

نَحمِلُ العِبءَ وَحدَنا والصِّعابا

فاحجُبوا الشمسَ واحبِسوا الرَّوْحَ[٤] عنا

وامنعونا طَعـــامَنا والشَّرابا

---

(١) أوله .

(٢) فرند السيف : وشيه وجوهره .

(٣) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : « أنا انتهيت » ، وإلى هذا يشير الشاعر .

(٤) الرَّوح : نسيم الريح .

obeikandl.com

قد فتحتم فمَ السبيلِ علينا
وفتحتم لكلِّ شعواءَ(١) بابَا
وأتيتم بالحائماتِ(٢) ترامى
تحملُ الموتَ جاثماً والخرابا
وملأتم جوانبَ النيلِ وعداً
ووعيداً ورحمةً وعذابا
هل ظفرتم منّا بقلبٍ أبيّ
أو رأيتم منّا إليكم مثابا(٣)
لا تقولوا خلا العرينُ ففيه
ألفُ ليثٍ إذا العرينُ أهابَا(٤)

ومن قصيدة الأستاذ على الجارم بك فى رثاء سعد باشا :

لا الدمعُ غاضَ ولا فؤادُكَ سالى
دخلَ الحِمامُ عرينةَ الرئبالِ(٥)

---

(١) الغارة المنتشرة . (٢) الطائرات .

(٣) المثاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغتم فى تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلبا أبيا من قلوبنا ، أو أن تجدوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهابَ : دعا .

(٥) غاض : جفَّ وذهب . والحِمام : الموت . وعرينة الرئبال : مأوى الأسد .

وأصابَ في الميدانِ فارسَ أُمةٍ
رفعَ الكنانةَ بعدَ طولِ نضالِ (١)

ما كان سعدٌ آيةً في جيلِهِ
سعدُ المخلَّدُ آيةُ الأجيالِ (٢)

كتبَ الكتائبَ حولَ مصرَ سلاحُها
صبرُ الكريمِ ، وهمَّةُ الفعَّالِ (٣)

فكأنَّه سيفُ المهيمنِ خالدٌ
وكأنَّ دعوتَه أذانُ بلالِ (٤)

يزدادُ في عصفِ الشدائدِ قوةً
ويجولُ حينَ يضيقُ كلُّ مجالِ

كالشعلةِ الحمراءِ لو نكَّستَها
لأضفتَ إشعالاً إلى إشعالِ (٥)

---

(١) الكنانة : مصر . والنضال : الجهاد والكفاح .
(٢) الآية : المعجزة . والأجيال : جمع جيل وهم أهل الزمان الواحد .
(٣) كتب الكتائب : جمع الجيوش . وهمة الفعال : الهمة الوثابة .
(٤) المهيمن : من أسماء الله تعالى . وخالد : هو خالد بن الوليد .
(٥) الشعلة الحمراء : المتقدة المتوهجة . نكستها : قلبتها رأسا على عقب .

والسيلُ إن أحكمتَ سَدَّ طريقِه
دكَّ الحصونَ فعُدْنَ كالأطلالِ (١)

إن قامَ يخطبُ قلتَ حيدرةُ انبرى
للقولِ فى سمتٍ وصِدقِ مقالِ (٢)

يختارُ من آيِ الكلامِ جواهرًا
دُرَرُ البلاغةِ كاسمهِنَّ غوالي

فإذا أُثيرَ رأيتَ ( بركانًا ) رمى
حُمَمًا ، ودكَّ الأرضَ بالزِّلزالِ (٣)

مُتنمِّرًا كالليثِ دِيسَ عرينُهُ
مُتوثِّبًا يدعو الرجالَ نَزالِ (٤)

نفسٌ كأنفاسِ الملائكِ طُهِّرتْ
وشمائلٌ أحلَى من السَّلسالِ (٥)

---

(١) دك الحصون : هدمها . الأطلال : آثار الدار بعد تهدمها .
(٢) حيدرة : الأسد ، وهو لقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه . فى سمت : أى فى حسن هيئة ووقار .
(٣) أثير : استفز وهيج . والحمم : ما يقذف به البركان من المواد الملتهبة .
(٤) متنمرا : غاضبا . عرين الأسد : مأواه . متوثبا : واثبا . نزال : اسم فعل أمر بمعنى : انزل .
(٦) الشمائل : الطباع . والسلسال : الماء العذب .

وعقيدةٌ لو هُزّتِ الأجبالُ مِنْ
ذُعْرٍ لَمَا اهتزّتْ مع الأجبالِ

* * *

سيروا على سَنَنِ الزعيمِ فإنّهُ
سَنَنُ الهُدَى وجلائلِ الأعمالِ (١)

قد خطَّ من أخلاقِهِ وجِهادِهِ
للفتيةِ السّارينَ خيرَ مِثالِ

إن كانَ لَمْ يَنْجُلْ فإنَّ له بِكم
عَدَدَ النُّجومِ الزُّهرِ مِن أنجالِ (٢)

لا تيأسوا فلَكَمْ أُبيدَتْ قبلَكُمْ
أُمَمٌ بيأسٍ قاتلٍ ومَلالِ

إن الشعوبَ تُصابُ في أبطالها
وحياتُها في سيرةِ الأبطالِ

* * *

(٣) السَّنَن : الطريق .
(٤) لم ينجل : لم يعقب ولدا . الزُّهر : المتلألئة المشرقة .

مَشهدٌ حياةٌ في المماتِ ، وقبرُهُ

مهدُ الجهادِ ومجدُ الاستقبالِ

أحرى بمن وهبَ الحياةَ لقومِهِ

ألّا تمسَّ حياتَهُ بزوالِ

* * *

انتهى والحمد لله

obeikandl.com